موقف المفكرين في جنوبي افريقيا

ان مشكلة العمل السياسي تطرح نفسها على مثقفي جنوبي افريقيا بالحاح شديد ، وكأنها كابوس مزمن . وقد جرت محاولات فردية لحل هذه المشكلة في جو من الكبت واليأس ، وهي محاولات تنوعت بين التخطيط من خارج البلاد لعمليات النسف والمقاطعة ، الى العمل داخل الحركات الوطنية الافريكانية (« والافريكانيون » اسم يطلق على المستوطنين البيض في جنوبي افريقيا) لدفعها نحو مزيد من التحررية . وتجري مراقبة معظم المثقفين من قبل « المكتب الخاص » في جو يزداد فيه التضييق على « الفكر المخرب » ، رغم اقنعة التسامح التي ترتديها السلطات .

ولعل اكثر الناس انغماساً في هذا العمل هم الروائيون الممتازون الذين ما زالوا داخل الاتحاد. فنادين غورديمر مثلا - وهي اشهر كاتبة للقصة القصيرة - تكتب دراسات قيمة عن البرت لوثولي الزعيم الافريقي الموضوع تحت الاقامة الجبرية ، والروائي الن بيتون متهم بأنه يحرر للوثولي بياناته . ولا يكتفي هذان الاديبان ، وكثيرون غيرهم ، بتحرير المقالات والقاء الخطب في الاجتماعات وتوقيع العرائض باستمرار ضد الرقابة وسوء معاملة هذه الفئة او تلك : فنادين غورديمر تشن حرباً على الدعاية الحكومية المتطرفة بايمان غريب حدا بها الى الاعلان عن رفضها لاستعمال جهاز الراديو بعد الآن . وقد ادت نشاطات الن بيتون كعضو بارز في الحزب الليبرالي المضطهد ، الى سحب السلطات لجواز سفره . وكتابة كلا الاديبين ملقحة بالمواضيع السياسية العميقة ، وقد منعت الرقابة الطبعة الاخيرة من رواية الانسة غورديمر « عالم من الغرباء » ؛ وروايتا الن بيتون تتناولان مواضيع سياسية وعنصرية . ويجد نفسه عرضة لتحقيقات مستمرة يجريها معه رجال « المكتب الخاص » هذه الايام ، مما يشير الى قرب وضعه تحت الاقامة الجبرية وفقا لقانون رهيب جديد يدعى « قانون الوقاية ضد التخريب » . واذا وضع بيتون على القائمة السوداء ، فسيمنع سكان جنوبي افريقيا من قراءة كتبه الجديدة. وهذا ما يحز في قلب الاديب، خاصة وانه قد أمضى السنين الخمس الماضية من حياته في تأليف كتاب يعرض فيه حياة الزعيم الليبرالي الراحل جان هوفاير .

ويعتقد البعض ان ادباء جنوب افريقيا الذين يكتبون بالانكليزية يحصرون كتاباتهم بالمواضيع السياسية او التي لها علاقة مباشرة بها ؛ وقد قال مثقف افريكاني بارز منذ مدة ان هؤلاء يكتبون لاشباع رغبات السوق العالمية الى ذلك النوع من الانتاج الذي يهاجم جنوبي افريقيا . لعل في هذا القول بعض الصحة . ولكن عندما يكتب ادباء جنوبي افريقيا في مواضيع خارج نطاق السياسة او « الاحتجاج » يتقلص تأثيرهم . ومن الناحية الاخرى ، نجد ان الكتاب الافريكانيين الذين لا يحصرون اهتمامهم في ابناء عنصرهم فقط ، يصيبون نجاحا ملموسا عندما يعالجون مواضيع تتعلق بالتمييز العنصري كما فعل فرانتز فنتر في كتابه « الحاج الاسود » .

يقتصر الكتاب الافريقيون والملونون بطبيعة الحال على التعبير عن المصاعب المادية والمعنوية التي يعانيها الملونون في جو جنوبي افريقيا الخانق ، حيث تكرس التمييز العنصري النصوص القانونية . لكن ألمع هؤلاء الكتاب يعيشون خارج البلاد ، امثال بيتر ابراهامز و ازكيـــال مفاهليله . وقد انصبت موهبة كلا الكاتبين على التعبـــير عن احتجاجها العنيف . وينتج الشعراء الملونون اعمالا ادبية تشير الى ردة فعلهم العميقة لعداء الرجـل الابيض لجاره الاسود .

ويميز الشعراء بشكل عام بين السياسة والشعر. وابرزهم، سيـــدني كلوتس المنفي الذي يكتب بالانكليزية ، لا يتناول مواضيـع الاحتجـاج او السياسة في شعره . ويتناول فان ويك لوو المواضيع السياسية بشكل ضئيل يكاد ينعدم ، ويرجع كل من لوو واوبرمان الى الماضي ليعطيا تعليقاتهما المشبعة بروح النبوءة ، فيهربان من الواقع الحالي الى عهد الاحتلال الروماني او بداية المدينة — الدولة عند الاغريق . والواقع ان هذه العودة الى الحضارات الاولى وقضايا السيطرة الاستعمارية فيها ، تفضح ما يحاول ان يخبئه الشاعران . انها تشير بوضوح الى الجدية التي ينظر فيهـــا الافريكاني الى دوره الرئيسي الآن في بلده .

المصـاعب والتردد ومحاولات التجاوب مـع الاحداث ، كلها تعذب المثقفين . وهذه العوامل معروفة لان الكتاب ، بطبيعة الحال ، يعبرون عن التجارب التي يمرون بها . فاننا نجد مونيكا ويلسون مثلا — وهي ابرز عالمة اجناس بشرية في البلد — تجرفها الاحداث بعيداً عن الجو الجامعي نحو كتابة التعليقات العنيفة والقاء خطب تحطم فيها الاساطير العنصرية . اما البروفسور هوبارت هوتون ، الاقتصادي الشهير ، فهو يتحرى الحقائق التي تحترق كفتيل بطيء حتى تنفجر على يده الاوهام المسيطرة على الجو الوطني . ودنيس كوان ، اشهر محام دستوري في جنوبي افريقيـــا ، هو الذي كتب دستور بازوتولاند التقدمي وقدم مسودة دستور الى كل من سوازيلاند وجنوبي افريقيا ذاتها . والمربي الافريقي الكبير ، الدكتور ريتشارد فان دير روس ، مهدد بالطرد من وظيفته بسبب المقالات التي يكتبها كل اسبوعين والتي يدافع فيها عن قضية الملونين ضد التمييز العنصري .

ونجد في الجامعات التي تدرس مواضيعها باللغة الانكليزية أوضح الامثلة على يأس المثقفـــين من الاوضاع في جنوبي افريقيا . وهذا يتجلى بشكل بين في الدوائر الانكليزية ، التي يغادرها الاساتذة والمحاضرون بأعداد كبيرة الى كندا واستراليا ونيوزيلاندا . وتعاني دوائر التاريخ ازمة مشابهة. وفي عصر اضحت الحاجة فيه ماســـة الى العلماء ، نرى جنوبي افريقيا تعاني ازمة علماء : فالاجور المرتفعة والفرص المشجعة في الخارج من الاسباب التي تفسر لماذا تعاني الجامعات في جنوبي افريقيا الافتقار الى المدرسين . لكن السبب الرئيسي هو التفاهة والارهاق اللذان يسيطران على الجو الثقافي في جنوبي افريقيا بعد ١٥ عاماً من الحكم الرجعي.

ولا يخفف من سوء هـــذا الجو ان نتذكر عرائض الاحتجاج او القرارات التي كانت تتبناها دوائر الجامعات بأجمعها او المسيرات او سواها من مظاهر الاحتجاج التي عبر فيها المثقفون عن قلقهم المتزايد على الحالة خلال السنين . فان تأثير واحدة منها تمحوه حادثة تمييز عنصري واحدة . ورغم

ذلك نجد اساتذة جامعات البلاد يقومون بتظاهراتهم السنوية بحماس متزايد ضد التمييز العنصري في المدارس . اما الرجال القديرون الذين بقوا في مراكزهم فانهم يعملون بالايمان ، لا بالرجاء .

واذا ما عادت جامعات جنوبي افريقيا الى احتلال مكان مشرق بين المؤسسات التربوية في العالم، فالفضل في هذا يعود الى هؤلاء الرجال والنساء الذين بقوا صامدين بعد ان يئس زملائهم وغادروا البلاد . وقليلون هم اصحاب المقدرة الذين يأتون من الخارج ليملأوا الاماكن الشاغرة . كما ان كثيراً من احسن العلماء الافريقيين والسود قد تركوا البلاد او اجبروا على مغادرتها .

ربما يكون الصراع القائم بين المثقفين الثائرين في الاوساط الجامعية والكنسية من جهة والدكتور فيرورد من جهة اخرى لا يلفت الانظار كثيراً ، لكن له اعظم الخطر . فالدكتور فيرورد مثقف قدير وصحفي وعالم نفساني مدرب تدريباً عالياً . وقد اعتبر كل انتفاضة سياسية قام بها المثقفون الافريكانيون ، وكأنها اهانة شخصية موجهة اليه، فاستطاع ان يهزمها على الصعيد السياسي ، مما جعل من بعض هؤلاء المثقفين منبوذين بين قومهم ودفع كثيراً منهم الى الالتحاق بأحزاب المعارضة ، لكن البعض بقي متمسكاً بالحزب الوطني الافريكاني المنتصر ورفض تركه .

ومما يذهل هؤلاء جميعاً الطريقة الغريبة المرعبة التي يغتصب بواسطتها الدكتور فيرورد العقول الافريكانية بموهبة وبراعة . ويرى اعداؤه ان الخليط العجيب ، الذي خلقه من المثالية والرواسب العنصرية وخنق كل منطق والدعاية السيكولوجية ، يطغى على كل قطاع من قطاعات الحياة الافريكانية. وهمهم الاكبر هو انقاذ الافريكانيين من تحطيم انفسهم بأنفسهم بشكل نهائي ، ولكن ينتج عن هذا شعور متنام بأن شعوب جنوبي افريقيا لا يمكن ان تتحطم نهائياً او ان تنقذ نهائياً الا مجتمعة معاً . لكنهم لا يتفقون جميعاً على اسلوب واحد لحل القضية .

ويبدو صراع المثقفين على مختلف جبهاته في جنوبي افريقيا عقيماً بالنسبة للكثيرين . لكن اعمال الدكتور فيرورد تشير الى انه لا يشارك في هذا الرأي . ولعله على حق .

انطوني ديليوس

حوار

بعد صدور العدد الاول من « حوار » :

من الشاعر جورج صيدح في باريس : « اعجبني الفن في المظهر الرزين ، وحسن الاختيار في المواضيع والاقلام ... رأيت الصحف الحاملة – ما العيلة فيمن يكرهون الكرامة لانفسهم ويمنعون الثقافة عن مواطنيهم ؟ »

من الدكتورة سهير القلماوي في القاهرة : « ان المجلة في نظري تملأ فراغا كان لا بد يملأ ، وانها موفقة فيما تصدت له . »

من الاستاذ جورج ابي صعب في جنيف : « اريد قبل كل شيء ان اهنئكم على تحقق المشروع بهذه السرعة والجودة اللتين فاقتا كل التقديرات . ولا شك ان حوار ستجد مكانها في الصف الاول من المجلات العربية ، اذ ان هناك قلة من المجلات يمكن ان تضاهيها او تنافسها ، سواء من حيث المحتوى او من حيث الاخراج . »

من الدكتور فاخر عاقل في دمشق : « حوار ، كما توقعت ، لطيفة غنية جميلة المظهر دسمة الفحوى . »

من الاستاذ محمد ديب ، في لندن : « اني مؤمن ان حوار من المناعة ، والاصالة الفكرية ، وسعة الافق ، وتنوع الغرض ، وخصوبة الهدف ، بحيث لا تعبأ بطنين الذباب : فمولد الاعمال الفنية الكبيرة فرصة سخية تغري الذباب بالطنين... يهمني كثيراً ان اسجل اعجابي وتقديري معا لهذه البانوراما الفكرية التي طالعتني بين صفحات العدد . الاقلام كفية ، وليس من بينها الا من يلخص رحلة جاهدة في ميدان الفكر عامة . »

من الاستاذ عيسى ابراهيم الناعوري في عمان : « لقد كانت كل مواضيع العدد دسمة جدا ، وكان دسمها يكفي لعدة اعداد . »

من الدكتور عبده الخولي في القاهرة : « والحقيقة ان حوار ستسد فراغا كبيراً شعر به العالم العربي بعد توقف الرسالة والبيان . »

●

في ذات الشهر الذي صدرت فيه « حوار » صدرت مجلة اخرى عن المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، هي « منيرفا » التي تصدر فصلية باللغة الانكليزية في لندن . ويرئس تحريرها البروفسور ادوارد شيلز ، يعاونه مجلس استشاري يتألف من عدد من رؤساء الكليات والاساتذة المرموقين ، وترعى المجلة لجنة العلم والحرية التي تضم عضويتها برتراند رصل وكارل يسبرز وجاك ماريتان وروبرت اوبنهايمر وسلفادور ده مدرياغا وسدني هوك وسواهم .

وتهدف « منيرفا » الى تحسين فهم القارىء لما تفعله التطورات المعاصرة في كل حقل من حقول الحياة للسعي وراء الحقيقة عن طريق العلم والبحث الدراسي ، ولما يفعله العلم والبحث الدراسي لذاتيهما ، ولبقية المجتمع والعالم كله . وتسعى ، بواسطة تحسين الفهم ، الى جعل التخطيطات العلمية والاكاديميكية اكثر معقولية وواقعية . وتحاول ، عن طريق المقارنة بين التجارب ونقدها ، ان تجعل هذه التخطيطات اكثر جرأة وتعقلا ، وان تنبه الخيال ، وان تتوصل الى امكانيات جديدة ، وتثبط العزيمة عن القيام بمحاولات نصيبها الفشل . وتأمل ان تسهم في حماية الملكات الخلاقة في العلم والبحث الدراسي والتربية ، وذلك بالكتابة عن شروط حيويتها ، وبتحليل الظروف التي تجد فيها مجالها في المجتمع المعاصر .

وبصدور « منيرفا » و « حوار » يكون عدد المجلات التي تصدر عن المنظمة باللغات المختلفة قد بلغ ١٧ ، وعدد نشراتها ثمانيا . وكل من هذه المجلات قائمة بذاتها ، مستقلة كل الاستقلال عن رفيقاتها ، توجيهها والكلمة الاخيرة فيها لمحررها ، ويعبر ما ينشر في اي منها عن رأي كاتبه فحسب لا عن رأي المجلة ولا عن رأي المجلات الاخريات او المنظمة ، ولا يجمع بينهـــا الا اشتراكها (كما ذكرت « حوار » في افتتاحيتها للعدد الاول) في الاهداف التي اخذتهـا المنظمـة على عاتقها ، وهي « ان تشجع روح البحث الحر والتكرس للحقيقة وتقدير الابداع ،وان تدافع عن الحريات الفكرية ضد اي افتئات عليها مهما كان مصدره . »

●

نشرت مجلة « بريف » ملحقا خاصا بعددها عن شهر ايلول (سبتمبر) الماضي عن المجاهد الجزائري والاديب المعروف بتقدميته مولود فرعون ، الذي ارداه رصاص الغدر . تضمن مقدمة لجان بلوك ميشال ، ونموذجا من آخر رسالة كتبها مولود فرعون بخطه للمجلة قبل موته بايام ، وبحثا لجان دانيـال ، ورسالة من مولود فرعون الى صديقـه البير كامو ، فضـلا عن نصوص تتعلق بالقضيـة الجزائرية نشرت « بريف » بعضها . وقد جاء في هذه النصوص (واهمها كتب بشكل يوميات):

« الاغتيالات تتضاعف . مع كل اطلالة صبح يبلغني نعي صـــديق او رفيق او رفيق بريء .

اضراب الناقلات مستمر منذ ايام . هنا اناس ينتظرون سيارة وينتظرون ، لكن السيارة لا تأتي ، ويطول الانتظار . وهناك سيارة تتوقف فيطل منها بشر يصرع اخا له ثم يعود بسرعة جنونية . وهنالك امرأتان تسقطان صريعتين من وطأة المأساة .

معلمو المدارس اضربوا لان زميلين لهم اغتيلا دونما ذنب ، في الشارع خارج المدرسة . يا لهم من ارهابيين افراد العصابة السرية . »

« لم يحدث شيء اليوم ، سوى ان بضع عشرات من التعساء اغتيلوا هنا وهناك . بينهم جزائري مدير مدرسة في الخمسين من عمره ورب عائلة لا معيل لها سواه . وتوارى المجرمون في سيارة دوفين خضراء وكأن شيئاً لم يكن . »

« ديغول سيتكلم ليعلن النهاية القريبة لحرب الجزائر . ولكن كم من الضحايا ستذهب ثمناً لهذه النهاية القريبة ! ان منظمة الجيش السرية لا تنذر احدا ، على مـا يظهر ، بـل تسترسل في الغدر ؛ تطلق الرصاص من السيارة ، من الدراجة البخارية ، تطلق القنابل ، تشحذ الخناجر . انها تنقض على المصارف ، على البريد ، على الشركات . يا له من مشهد اسود تحالف في خلقه المتآمرون والجبناء .

انها آخر موجة ارهاب اعمى ، ونهايـة مآثر السفاكين الذين يخشون ان تنقطع عنهم لذة الاغتيال البريء .

حرب الجزائر على طريق النهاية . سلام على الضحايا . سلام على من سينجو . وليسقط الارهاب ولتعش الحرية . »

« لا ادري هل ستستمر الفوضى ، وهل ستتساقط صرعى في زوايا الشوارع كالذباب . تلك هي الحالة الآن ،

الصحف تنشر كل صباح لائحة القتلى على ثلاثة اعمدة .

لماذا يمـــوت هؤلاء ؟ »

●

من كتابنا لهـــذا العدد : دني ده روجون ، المفكر السويسري المعروف ورئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة العالمية لحرية الثقافة ، ومن اولى منـــه بالكتابة عن الحب وتاريخه ، بعد كتابه الكلاسيكي عن « الحب والغرب » ؟ والدكتور جميل صليبا ، رئيس الجامعة السورية السابق وعميد كلية التربية فيها في الوقت الحاضر ، وصاحب عـــدة مؤلفات قيمة في الفلسفة والتربية . والدكتور يوسف صايغ ،

مدير المعهد الاقتصادي في جامعة بيروت الامريكية، ومن آخر مؤلفاته « الخبز مع الكرامة » الذي فاز قبل اسابيع بجائزة اصدقاء الكتاب في لبنان لاحسن دراسة اجتماعية ظهرت خلال العام . وجورج ابي صعب ، وهو حقوقي واقتصادي مصري شاب عين مؤخراً محاضراً في الشؤون الدولية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة لندن . واحمد بهجت ، المحرر في الملحق الادبي لجريدة «الاهرام» . ولورنس ضريل ، صاحب « الكتاب الاسود » و « الرباعية الاسكندرانية » التي تترجم حالياً للعربية ونشر منها جزءاها الاولان . ومحمد الماغوط ، صاحب « حزن في ضوء القمر » وواحد من ألمع الشعراء الجدد في العالم العربي . وعارف الريس ، الفنان اللبناني الذي يقيم في ايطاليا .

ومنهم ايضاً : الدكتور فريد جبر ، الاب اللعازري ، الذي يكتب عن ماسينيون وكان قد تتلمذ عليه سنوات عشرا . والدكتور صلاح الدين الدباغ ، احد اساتذة الاقتصاد في جامعة بيروت الامريكية . وغالي شكري ، الناقد المعروف وصاحب « ازمة الجنس في القصة العربية » . وانيس صايغ ، المحاضر في جامعة كيمبردج ، وصاحب « الفكرة العربية في مصر »، وهو يعد الآن كتاباً في الفكر السياسي في مصر في القرن التاسع عشر . اما الدكتورة سهير القلماوي ، لور غريب، ورواد طربيه ، وروبي مكولي ، فقد سبق ان ظهرت كتابات لهم في العدد الاول من « حوار » ايضا .

طبعت على مطابع دار الريحاني بيروت

عطور اريجكو للأناقة والسهرات